حين قدمتُ الورقة التي تحمل عنوان (الثقافة العراقية: الحرية وعصيان قوانين التأريخ) الى الحلقة الدراسية لمهرجان الحبوبي للابداع الذي انعقد في مدينة الناصرية في أواخر الشهر الماضي، اتجه نقاد الورقة الى فكرة افتتاحية، وهي أن الحبوبي - حين خرج يدعو عشائر جنوب العراق الى مقاتلة الإنكليز المحتلين- لم يكن (وطنياً)، لأنه لم يكن يتعامل بفكرة (الوطن)، حديثة التأسيس، بل كان يدافع عن فكرة (الأمة الإسلامية)، وكان يدعو مسلمي العراق الى القبول بحكم الدولة العثمانية -على الرغم من استبداديتها ومناهضة حكم الإنكليز (الكفار)، ثم نشرت (المدى) مفتتح هذه الورقة ذاته، حين قدّمت تغطية لمهرجان الحبوبي. وبعدها، فاجأني الدكتور مالك المطلبي بمبادرته الرائعة حين كتب تعليقاً نقدياً على هذا المفتتح -ذي الكفاية الدلالية بصدق- نشرته (المدى) بدورها قبل عدة أيام.

عن الدولة الوطنية وثقافتها وأمريكا..

حيدر سعيد

غير أن نقد الدكتور المطلبي تجه تجاها معاكسا، ودخل إلى الفكرة الجوهرية التي تضمنها المفتتح السالف، بشجاعة فائقة. فهذه الفكرة كتبت على نحو استعاري ربما، ولكنها تقف بثبات راسخ خلف الاستعارات والرموز والسيمياء، أعني: نهاية ثقافة الدولة الوطنية.

غير أن هذين النقدين يتفقان -مع ذلك- على مسلمة ضمنية، وهي أن (الوطن) و (الدولة الوطنية)، وبالتالي (ثقافة الدولة الوطنية) بمعجمها العتيد: (الاستقلال) و (عدم التبعية للأجنبي) و (الحكم الوطني)، هي مفاهيم مطلقة تاريخية وضرورية وحتمية. فالنقد الأول لم يتصور أن لحبوبي- المجاهد الرمز- أعيد إنتاجه في ثقافة الدولة الوطنية وأول موقفه بأنه موقف (وطني)، في حين كان مفهوم (الوطن) لا مفكر فيه لدى الحبوبي. هذه العملية تحدث باستمرار، وفي كل الثقافات، أعني كتابة الماضي بمفاهيم الحاضر. ولكن أمر الحبوبي لم يكن يبدو على هذه الشاكلة، لأن الحبوبي كان يقع على تخوم الحد الفاصل بين عصرين مفاهيميين، و(الوطن) ينتمي إلى عصر مفاهيمي لاحق للحبوبي، ولكننا لم نستطع أن نتبين هذا الحد الفاصل حين كتبت ثقافة الدولة الوطنية تأريخها (الوطني) بإدماج مستمر للماضي.

أما نقد الدكتور المطلبي، إذا كان يتفق معي على نهاية ثقافة الدولة الوطنية، فإنه يريد منا أن نتجه إلى الخلل المباشر الذي أنهى هذه الثقافة، والذي يتمثل بالدكتاتورية ونظام صدام حسين. وهذا يتضمن أنه لولا هذا الخلل لما شهدت ثقافة الدولة الوطنية نهايتها، ويتضمن -أيضا- إنه كانت بإمكاننا خيارات أخرى.

هل لقول إن هذا الخلل كان -للأسف- حتميا؟

فلا يتعلق شأن الدكتاتورية بالعراق وحده، بل بسائر العالم العربي والإسلامي. ومشاهد (اغتصاب) ثقافة الدولة الوطنية تتكرر -وستتكرر- بشكل يكاد يكون متماثلا: هل ننسى مشهد الشباب الجزائريين الذين استقبلوا حاك شيراك رئيس دولة فرنسا -الدولة التي استعمرتهم (130) سنة وناضلوا وكتبوا ضدها واحدة من أعظم مآثر ثقافة التحرر الوطني- استقبلوا رئيسها بالهتاف والزغاريد، بل الطالبة بأن تسهل لهم فرنسا إجراءات منحهم تأشيرات دخول إليها؟ هل ننسى بيان الطلبة الإيرانيين بعد سقوط نظام صدام، الذي يطالب فيه الحكومة الإيرانية -التي جاءت إلى الحكم بعد ثورة عدّت بدورها آخر مآثر التحرر الوطني من الحكومات (العميلة) الموالية للغرب- بأن تتعظ من درس العراق، وإلا فإن الشعب الإيراني سيرحب بالأمريكان إذا قرروا إسقاط نظامه السياسي؟

هذا (التكرار) يحتاج إلى تفسير، وقبل ذلك، إلى إقرار بأن مجتمعاتنا تشهد تحولا راديكاليا، نحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة لوصفه، بعيدا عن مفاهيم ثقافة التحرر الوطني التي تتسرب إلى لغتنا وأنماط إدراكنا.

وهذه العمومية، أيضا، تجعل بالإمكان أن نقترح تحقيبا موحدا للتأريخ الحديث للمجتمعات العربية والإسلامية، فهي قد شهدت ثلاث حقب كبرى، وعلى النحو الآتي:

الحقبة الأولى هي التي تبدأ مع قيام الدولة الوطنية الحديثة، التي أعطيت شكلا سياسيا مناظرا للدولة الوطنية كما أنتجتها التجربة السياسية الغربية: حكومات، وبرلمان، وأحزاب، ودساتير. وقد أقيم عليها حكام موالون للمستعمر الغربي. وفي ظل ذلك، كانت تنشأ ثقافة مناهضة للغرب المستعمر، أسهمت في بنائها الأحزاب الناشئة آنذاك، اليسارية والاشتراكية والقومية، وقد رسخت هذه الثقافة انفصالا حادا بين الحكومات الموالية للغرب والأحزاب المناهضة له.

أما المرحلة الثالثة فخرجت من الجيل الذي نشأ في الفضاء المفاهيمي لثقافة الدولة الوطنية وتنفس أيديولوجيا (الاستقلال) و (مناهضة الغرب)، واكتملت مع قيام مجموعة من العسكر -من ربيبي هذه الثقافة- بما عرف بـ (الثورات الوطنية) وتقلدهم الحكم تحت مبدأ (الشرعية الثورية)، ومن ثم تحول هؤلاء العسكر وأنظمتهم إلى أنظمة دكتاتورية، استبدت وتستبد -وتستبيد- بشعوبها.

لقد عملت ثقافة هذه المرحلة الأخيرة على تقديم مفهوم لـ (الوطن) مطلق ولا تأريخي، وكانت تخفي حقيقته التأريخية: إنه حديث، ونسبي، وتأريخي، كما عملت على بناء رموزها، وهي الرموز التي سنصطلح عليها (رموز ثقافة الدولة الوطنية)، تلك التي مجدت (الاستقلال) و (مناهضة الغرب). تمتد هذه الرموز، مثلا، من (الحبوبي)، الذي خرج يدعو إلى مقاتلة الإنكليز، وتمر بـ (السياب) صاحب قصيدتي (بور سعيد) و (الغرب العربي) وسواهما من القصائد التي تمجد التحرر الوطني، وتصل إلى (جواد سليم)، الذي وضع في صلب نصبه الذي يحمل اسم (الحرية) صورة العسكري المخلص... الذي تحول إلى دكتاتور!

ومن رحم هذه الثقافة... من جوهرها ومفاهيمها، خرج (صدام حسين)، وفي ظل ملابسات ثقافية أكثر تعقيدا، منها المجتمع الأبوي الذي ما يزال تقوم على أساس (طاعة ولي الأمر).

وهكذا، لم يكن صدام حسين منتبذا، هابطا من السماء، بل هو ظاهرة تشكلت في صلب ثقافة المجتمع العراقي ووجدانه.

والخلل، إذن، ليس في السياسة والأشخاص، بل في الثقافة، التي أنتجت (صدام حسين) وجعلت منه أمرا ممكنا.

وإذا كنا نشهد بوادر مرحلة رابعة، سيبدأ معها (عصر ما بعد الدولة الوطنية)، فإن هذه المرحلة يجب أن تتأسس على القطيعة الكاملة مع المرحلة السابقة.

كانت الورقة التي قدمتها في مهرجان الحبوبي للإبداع تشير إلى مشهد الدبابات الأمريكية وهي تمر قرب تمثالي الحبوبي والسياب ومن تحت نصب الحرية، بوصفه المشهد الافتتاحي لهذا العصر، الذي ينبغي أن تؤسسه ثقافة جديدة لا تؤمن بـ (الاستقلال) و (مناهضة الغرب)، ولكن عليها أن تعمل بجد وشجاعة لكي لا تكون مجرد ثقافة (تابعة) و (ملحقة)، بل تكون مسهما فاعلا وشريكا حقا في الحضارة العالمية.

لم يتجه النقد، إذن، إلى الطرف الذي اغتصب ثقافة الدولة الوطنية (وهو الولايات المتحدة)، بل إلى بطريقة جعلتها موضوعا للاغتصاب. والمهم -في تصوري- ليس الطرف الذي وضع إمضاءه على نهاية ثقافة الدولة الوطنية، بل في الطابع المأساوي لهذه النهاية، وفي تاريخ الثقافة نفسها وتطورها البنيوي اللذين أوصلاها إلى نهايتها.

أنا لا أريد، هنا، أن أتبرأ من نقد أمريكا، فلا شيء يمنع من أن تكون أمريكا موضوعا للنقد.

بل إنني أخشى أن تتحول أمريكا إلى وثن جديد لدى العراقيين، بما أنها خلصتهم من نظام صدام حسين، يسقطون عليها صفات (الله)، حيث تكون (كلية العلم) و (كلية القدرة). وبالتالي لن يقبل لاهوت عبادة أمريكا أي نقد لها، لأنه سيكون أدخل في باب (الحرام) و (الكبائر) و (الكفر) و (التجديف) و (الزندقة).

الثقافة نفسها، واللاهوت نفسه، ولكن الاتجاهات تغيرت.

وكسائر الثقافة اللاهوتية، يقوم لاهوت عبادة أمريكا على منطق ثنائي (مزاوج بالضرورة)، أما (صدام) وإما (أمريكا)... أما (غادر) وإما (مغدور)... إما (مؤمن) وإما (كافر). في حين يقوم بين طرفي التعارض للمنطقي ثراء هائل من القيم، يبيح النقد لكل الأطراف ويجعله ممكنا وضروريا.

فلاهوت عبادة أمريكا، الذي يريدنا أن نسبح بحمدها وفضلها لأنها خلصتنا من نظام صدام حسين، يرى في من ينقد أمريكا كأنه جاحد لهذا الفضل وكأنه كافر (أو صدامي، بالضرورة للتأسة على هذا المنطق). ويريد هذا اللاهوت، في الوقت نفسه، أن يؤسس (تجهيلا) هائلا للعراقيين: ألا نعرف شيئا عن الأهداف الاستراتيجية لحقيقية التي كانت وراء حرب العراق، وفي أية فقرة من هذه الاستراتيجية يقع إسقاط نظام صدام، وكيف نفسر تعارضات التأريخ، فأمريكا التي خلصتنا (نحن الغدورين) من نظام صدام هي نفسها أمريكا (الغادرة)، التي منحت هذا النظام نفسه الغطاء الذي مارس تحته أبشع جريمتي إبادة جماعية بحق العراقيين: جريمة الأنفال وحلبجة، التي ذهب ضحيتها ما يقرب من مئتي ألف إنسان عراقي، وقد حدثت هذه الجريمة بدعم أمريكي للمشروع العسكري العراقي، ومن ثم السكوت عنها قبل أن يرتكب صدام حسين جريمة غزو الكويت، والجريمة الثانية هي جريمة قمع إنتفاضة (1991)، التي ذهب ضحيتها ما يقرب من ربع مليون عراقي، وقد حدثت هذه الجريمة تحت أنظار الجيش الأمريكي ورعايته.

هل سندرك أن الحرية التي حصلنا عليها هي (ناتج عرضي) في الاستراتيجية الأمريكية، وليست هدفا أو غاية بذاتها؟

يبدو لي أمر علاقتنا مع نظام صدام وأمريكا أشبه بإنسان أعزل يضعه سجان قاس في قفص منفردا مع نمر جائع، فيهجم عليه النمر ويدميه ويقطع أعضاءه، ولا تستطيع الضحية أن تدفع عن نفسها. وعندما ينتهي دور النمر، أو يتعب، أو يشيخ، أو تنتهي لعبة السجان، يقوم بإخراج النمر من القفص.

فهل يطلب من الضحية أن تشكر السجان لأنه أخرج النمر في آخر المشهد، وهل يطلب منها أن تنسى أنه هو نفسه الذي جعلها منفردة عزلاء مع هذا النمر لجائع؟

على الضحية أن تمتلك -في الأقل- وعيا بالهدف الذي جعلها فيه سجانها مع نمر جائع، وبالهدف الذي أخرج فيه النمر في نهاية اللعبة.

ولتكن الحرية خيارنا، دائما وأبدا... حرية العتقد والقول والتعبير والسلوك والممارسة... أليست هذه جزءا أساسيا من ثقافة أمريكا؟

ليكن درس أمريكا، إذن، درسا في الثقافة، لا درسا في السياسة، وولاء ساذجا فيها.

كيف يفهم الأمريكان الشخصية العراقية

يمثل النص، الذي ننشره، هنا، الترجمة العربية لفصل (الثقافة Culture) من الكتاب الذي يحمل عنوان (Iraq)، والذي أصدره (DIDIPP) (U. S. Department of Defense Intelligence Production Program) التابع لوزارة الدفاع الامركية، بالتعاون مع:
Marine Corps Intelligence Activity

في شهر ايلول من العام 2002، ليكون دليل سلوك وتعامل للامركان الموجودين في العراق، سواء كانوا عسكريين او مدنيين.

والنص يكشف طبيعة فهم الامركان للشخصية العراقية، والى اي مدى يرتبط هذا الفهم بالتهورات الاستشراقية، وهل اخذت بنظر الاعتبار التطورات الضخمة التي تعرض لها المجتمع العراقي. والنص، بالتالي، يطرح سؤالا جوهريا عن الاساس المعلوماتي الذي يوجه عمل الامركان في العراق، هذه المسألة التي بدأت تصعد الى المشهد في الولايات المتحدة نفسها، بعد ان وجه الامريكيون انفسهم في بلد كانوا يظنون انه يعرفون عنه الشيء الكثير

بينما تشكل الأقلية الكردية نسبة 20٪ من سكان العراق، يشكل العرب 75٪، والنسبة الباقية وهي 5٪ تتشكل من التركمان والآشوريين والأقليات الأخرى. تقطن الأقلية الكردية في الشمال والشمال الشرقي من البلاد حيث الجبال والمناطق الاستيطان هناك بسبب العقوبات الاقتصادية. وعلى الرغم من أن الكثير من الكرد قد نزحوا الى المدن، خصوصا الموصل وكركوك والسليمانية، فإن اغلبهم فلاحون ورعاة، وقد تغيرت الطبيعة الاستيطانية للكرد في السبعينيات مع إعادة التوطين لجماعي. فالعديد منهم وطنوا في مخيمات احتجاز في الصحراء خلال الحرب العراقية الإيرانية، إذ تخشى الحكومة العراقية النزعة الانفصالية عند الكرد. ينقسم الكرد الى ثلاثة مجموعات. وعدم قدرة هذه الجامع على تسوية خلافاتها منعها من تقديم جبهة موحدة لمواجهة صدام والعالم.

أما المجموعة العربية فتنقسم بين الأغلبية الشيعية في الجنوب والمدن التي تعيش غالبا في القسم الأوسط من البلاد، حول بغداد. وفضلا عن ذلك، توجد مجموعات لم تستوعب داخل مجموعة سكان العراق: الأول هم عرب الاهوار الذين يسكنون في اسفل دلتا الفرات ودجلة حتى وقت تجفيفها من قبل الحكومة العراقية، والمجموعة الثانية هي مجموعة صغيرة من البدو الرحل الذين يسكنون مناطق الصحراء. يعيش 75٪ من سكان العراق في مناطق السهول الفيضية، التي تشكل 15٪ من مساحة العراق. وحوالي 70٪ من سكان العراق حضر. وتعد بغداد اكبر المدن العراقية.

التفرقة الطائفية والاثنية التي تمارسها الحكومة العراقية ضد أجزاء من شعبها والحصار الاقتصادي الطويل الأمد الذي تفرضه الأمم المتحدة ضد العراق، جعلا العديد من أبناء العراق محرومين من ابسط الخدمات العامة، فقد وجهت موارد العراق الى الفعاليات العسكرية وشراء معداتها، مع استثمار القليل منها في البنى التحتية الخدمية. وقد دمرت حرب الخليج البنى التحتية العراقية. ومع ارتفاع نسبة البطالة والوضع السياسي الحالي، فإن أوضاع المعيشة في العراق ستسوء بالنسبة لأغلبية الشعب العراقي.

التعليم

على الرغم من حقيقة كون 53٪ من سكان العراق هم في عمر 10 سنوات ولا يحصلون على تعليم، فإن 58٪ من سكان العراق متعلمون: 70٪ من الذكور و 45٪ من الإناث متعلمون. ومع ذلك لا يحصل 10٪ على التعليم الثانوي، و 4٪ هم ممن حصلوا على التعليم الجامعي وما بعد الجامعي.

الدين

دين الدولة الرسمي هو الإسلام. فـ 78٪ من سكان العراق هم من الأغلبية المسلمة (60٪ شيعة، و 37٪ سنة) وما تبقى هم من المسيحيين والطوائف الدينية الأخرى. العراق والبحرين هما القطران العربيان الوحيدان اللذان يشكل الشيعة الأغلبية فيهما. وقد كان الشيعة، تاريخيا، فلاحين، وكانوا عرضة للاضطهاد الاقتصادي والسياسي. وقد حاولت حكومة صدام إدخال الشيعة في بعض مواقع السلطة الحكومية البارزة، فقد كانت شكوك الحكومة كبيرة في أن تحاول إيران استغلال أي مشاعر للاستياء عند الأغلبية الشيعية. تهيمن الطبقة المتعلمة من السنة على الحكومة. ومنذ عام 1958، كان اغلب أعضاء الحكومة العراقية هم من السنة. أما للممارسة الدينية لدى الكرد، فانها تختلف عن مثيلاتها عند العرب، على الرغم من أنهم سنة.

المجاملات والأعراف الاجتماعية

على الرغم من أن العالم العربي مختلف جغرافيا وسياسيا واقتصاديا، إلا انه ثقافيا أكثر انسجاما من الغرب، اذ يتشارك العرب في الاعتقادات الأساسية والقيم التي تتجاوز الطبقات والحدود الوطنية. والمواقف الاجتماعية ما تزال نسبيا ثابتة، لان المجتمع العربي محافظ ويسعى إلى التوازن بين الفرد. وقد تأثرت معتقدات العرب غير المسلمين بشكل مميز بالإسلام. وعلى الرغم من اتفاق المجتمع العربي على أنماط ثقافية محددة، إلا انه من الضروري للمراقب الغربي أن يكون قادرا على تشخيص هذه الأنماط الثقافية وتميزها عن السلوكيات الفردية. ففي التحية مثلا، يصافح العربي بيده، وقد يسحب اليه من يحبه ويقبله على وجنتيه. وقد يمسك العربي بيد من يحبه عندما يسيران معا. وعندما لا يلمس العربي يد من يحبه فإنه لا يحبه أو أنه متحفظ تجاهه، لذا فهو غير معتاد على التحية بلمس اليد فقط. بعد المصافحة باليد، فإن الإشارة برفع اليد اليمنى ووضعها على القلب هي علامة على الاحترام والمودة. وان إشارة وضع اليد اليمنى على القلب بعد تقديم الطعام هي إشارة دعوة مع الاحترام، وتقبيل لجبهة والأنف أو اليد اليمنى للفرد تمثل أقصى درجات الاحترام، واستخدام الألقاب مثل (دكتور) و (أستاذ) مع الاسم الأول أمر شائع. يفضل الأمريكان أن يتركوا مسافة مع من يكلمونه، وهي تتراوح عموما من 46 الى 72 انج، أو كأقصى نزاع في أقصى حد. أما العرب فيفضلون مسافة أقصر مع من يحدثونه، وهي حوالي 12 انج أو اقل من ذلك في الأحاديث الشخصية. ويميل الأمريكي الى التراجع عندما يحتشد حوله العرب، وعلى العكس من ذلك، يخطو العربي الى الأمام، وبينما يتراجع الأمريكي، يستمر العربي بالتقدم الى الأمام ليكون اكثر قربا، أو أن يتساءل إن كان قد أساء الى الأمريكي. هذا الفرق قد يربك الأعراف الدبلوماسية أحيانا.

وهناك الكثير من الإشارات المستخدمة في العالم العربي التي تحمل معنى مغايرا لها في الاستخدام عند الأمريكان. فقد يشير العربي لـ (نعم) بأن يومئ برأسه الى الأمام، بينما يشير لـ (كلا) بعدة سبل: إمالة الرأس قليلا الى الخلف مع رفع الحواجب، وتحريك رأس المرء إلى الخلف مع عمل ملفلفة بلسانه، أو تحريك راحة اليد من اليسار الى اليمين باتجاه المقابل. أما (شكرا) و(شكرا جزيلا)، فيمكن الإشارة اليهما بالتربيت على القلب عدة مرات، و (ممتاز) يمكن التعبير عنها بوضع راحتي اليدين باتجاه المقابل.

العرب كرماء ويقدرون الكرم عند الآخرين. ويعد حسن ضيافة الضيوف أمرا جوهريا لسمعة المرء. ويفترض العرب دور المضيف جاهزا أبدا، بغض النظر عن كل الظروف، وهم يتوقعون أن يستقبلوا بضيافة حين يكونون ضيوفا على أحد، و هم يحكمون على الآخرين على وفق حسن ضيافتهم. يقدم العرب، بعد برهة من وصول الضيف، المشروبات التي يجب أن تقبل بوصفها تعبيرا عن الضيافة والتقدير. وتملك المحلات ومكاتب التجارة عاملين عملهم الرئيس هو لخدمة بتقديم المشروبات إلى الضيوف. وعندما تقدم المشروبات إلى الضيف، يجب عليه أن يحمل القدح بيده اليمنى، إذ تعد اليد اليسرى، عند العرب، غير طاهرة وقذرة، ولذا ينبغي استعمال اليد اليمنى عند الاشارة الى أي شيء، وعند دعوة شخص الى الحضور، و العرب ذو كبرياء وفخر، والمظهر الاجتماعي أمر مهم جدا لهم، فهم يلبسون ويتصرفون بشكل رسمي اكثر مما يفعله الأمريكان. فاذا كانت منزلة المرء في الولايات المتحدة ترتبط بالموقع الاجتماعي والمرتب أو السلطة، فانها، في الشرق الأوسط، تقيم حتى من خلال الملابس والسلوك الفردي. و لذلك، يلتزم العديد بالشكليات الرسمية للملابس ولمظهر العمل إن كانوا موظفين أو عمالا، و قد يغير العامل ملابسه أو حتى قد يؤدي عمله بالملابس الرسمية. ويعتقد الكثير من العرب إن الأمريكان غير رسميين في ملابسهم. في العراق عليك أن تتجنب لبس الملابس القصيرة والضيقة، و أن ترتدي الملابس التي تحميك من ضربة الشمس، و أن ترتدي الملابس التي تديم الفعل الرسمي.

العلاقات و التفاعل الاجتماعي

كثيرا ما تكون العائلات العربية كبيرة وذات تأثير قوي على حياة الأفراد. و العائلة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية. ووفقا للنظام البطريركي، يكون الأب هو صاحب الدور القيادي الذي يجب أن يقتدى. و على الرغم من انحسار دور الأم للواجبات البيتية وتربية الأطفال، فانها تمارس دورا ملحوظا في البيت. القليل من النساء يعملن خارج البيت على الرغم من ازدياد العدد مع المد الحضري. وكل جنس يحب مجموعته الاجتماعية ويتفاعل معها داخل البيت. وكل الأنشطة تدور حول حياة الأسرة، لذا فإن كل إنجاز من أحد أبناء الأسرة يصب في سمعة الأسرة.

ان لحفاظ على سمعة العائلة واحد من القيم العليا داخل المجتمع العربي، إذ أن أي سلوك شائن من قبل الأنثى قد يهدم شرف العائلة اكثر من أي سوء تصرف ذكوري. لذا، طورت أنماط محدده من السلوك لحماية المرأة ومساعدتها على تجنب أي موقف قد يسبب انطباعات زائفة أو أقاويل لا تنتهي. و على الغربيين أن يكونوا واعين بالقيود التي تتصل بالعلاقة بين الرجال والنساء، إذ سرعان ما يكون العرب انطباعات سلبية عن أولئك الذين يرفعون التكلفة كثيرا في العلاقة مع الجنس الآخر، و على الرجل الغربي عدم التقرب مطلقا من المرأة العربية سعيا ورا إقامة علاقة شخصية. ان الإظهار العلني لأية علاقة حميمة بين المرأة و الرجل ممنوع بصرامة في سلوكيات المجتمع العربي، يتضمن ذلك مسك اليد وربط الذراع أو أي إشارة إلى العواطف مثل التقبيل والتلامس للطول، و مثل هذه السلوكيات مربكة جدا للمشاهد العربي، حتى ان كانت بين الزوج و زوجته.

أما مفهوم (الصداقة) عند العرب فيختلف عنه عند الأمريكان، فالصديق عند العرب هو الذي تستمتع بصحبته. ويتساوى في الأهمية عند العربي، رغم ذلك، أن يكون واجب الصداقة هو العون والخدمة إلى أقصى الحدود مع إمكانية الصداقة. و لذا يعتقد الغربي إن العربي يستغله، بينما يعتقد العربي أن الغربي ليس بالصديق الحقيقي. ولتجنب سوء الفهم هذا، من الحكمة أن نتذكر بأن العرب والغربيين لديهم آمال مختلفة للصداقة. يلتزم العربي بالضوابط الرسمية المستندة للسلوك و الأدب للعربي التقليدي. و التصرف الحسن يتطلب عدم الرفض للكشوف مطلقا لأي طلب من صديق. غير أن هذا لا ينبغي أن يعني تلبية لخدمة فعليا، بل يعني إن الرد لا يكون بـ (كلا) قاطعة. فإن طلب شخص عربي خدمة منك، فعليك تلبيتها إن كان ذلك ممكنا. أما إذا كانت لخدمة غير منطقية أو غير قانونية أو عصيبة جدا فعليك الإصغاء باهتمام والتعبير عن شكوك بخصوص النتائج، ومن ثم الوعد بتقديم المساعدة إن أمكن.

يعرف الغربيون والعرب السلوك الغربي، ولكنهم يتساهلون بشكل مختلف. فالعديد من العرب يرغبون بمناقشة الأموال وقد يسألون عن كلفة أشياء الآخرين أو مرتباتهم، كما أن من غير الطبيعي أن يكون الشباب غير متزوج وان لا يكون لدى الزوجين أبناء، في حين يجد الأمريكيون مثل هذه الأسئلة أمرا شخصيا جدا، ولكن العرب يسألون مثل هذه الأسئلة، في حين يجد العربي الأسئلة التي تستفسر عن إنك عو تلهم أمرا جد شخصي. و لذا من الأفضل لك، أن تسأل عن العائلة وليس بالتخصيص عن زوجة أو أخت أو بنت الشخص العربي. ان للفتاح لإقامة علاقة عمل جيدة مع العربي هو إن تؤسس علاقة شخصية معه، ففي الاجتماعات المهنية يعمل العربي وفقا للعلاقات بأكثر مما يتقيد بضوابط الزمان ومتطلبات المهنة، والذي يحصل في الاجتماعات الأولية للعمل هو لمداولات الاجتماعية التي نادرا ما تكون موضوعية وبرغماتية أو حتى ذات تواصل صريح، فيتم التأكيد على الجو وتوكول من خلال الحديث الدمث، أما العمل فينلاقش فيما بعد أو عند تناول الطعام.

اما النقد، فهو، حتى لو قدم بشكل بناء، يمكن أن يهين أو يهدم شرف العربي، وقد يعد إهانة شخصية. ومحاولة لحماية نفسه وشرفه من النقد، قد ينكر العربي الحقائق بشكل مطلق أو يقدم تفسيرا جديدا مخالفا لها، و على الغربي إخفاء أي إشارات تصحيحية و إثناء على النقاط الجديدة.

نظرة العربي الى العالم

غالبا ما تكون نظرة العربي الى العالم مرتكزة على خمسة مفاهيم:

1. الذرية: إذ يميل العربي الى أن ترك الأحداث بوصفها حوادث منفصلة، وهو يؤكد على الجزء اكثر من الكل، وهذه هي السمة السيكولوجية الأساسية في الثقافة العربية، فالعرب عموما لا يقرون للفهوم الغربي (السبب والنتيجة)، وهم غالبا ما ينبذون السلسلة السببية للأحداث. ان عملية التفكير هذه يمكن أن تجعل العرب والبلاغة العربية تبدو غير منطقية و غير عقلانية للغربيين الذين يبحثون عن مفهوم موحد.

2. القدرية: ان الاعتقاد الغالب عند العرب هو ان الذي يسير الحياة هي إرادة الله، أو القدر، وليس الكائنات البشرية. و القناعة بنعم الأيام و السكينة و الرضى بوجه الصعاب هي جزء من التراث الإسلامي. تعقد القدرية التخطيط مع العرب، لتغير ما يعدونه طبيعيا وسلسلة غير قابلة للتغير من أحداث.

3. الرغبة بالضد الواقع: غالبا ما يستخدم العرب البلاغة الفاتنة والقوية التي تميل إلى المبالغة. وفي مغالاتهم تمتزج الرغبة بالواقع، فتصبح الفكرة أكثر واقعية من الواقع، حتى يرغمون على تقبل الواقع. وبعد كل ذلك، يبقى الواقع هو إرادة الله غير القابلة للتغير من قبل الكائنات البشرية. و يعمل الميل لمزج المثاليات بالواقع على جعل تصرفات العربي غير منطقية لدى الغربيين، فالقدرة على مزج الرغبة والواقع في مفهوم مقبول سيكولوجيا يوضح كيف يستطيع العرب العيش في مناخ يبدو متناقضا: رغباتهم في الحداثة تتناقض مع رغباتهم بالتراث الإسلامي الخالي من التأثيرات الغربية.

4. التطرف: يدرك العرب العالم بتطرف. وقد يعود ذلك إلى قسوة الجو الصحراوي الذي يحيط بهم منذ آلاف السنين، فأما أن يوجد ماء أو لا يوجد، حار أو بارد. لقد كانوا محاطين بهذا الجو من التطرف، ومن خلاله يعون العالم. ان ظلال هذا الوقف سائدة في المجتمع العربي، ونتيجة لذلك، لا ينكب العرب على مواجهة التحديات كما يفعل الأمريكان، اذ ان أية خطة أو مشروع أو قطعة من آلة أصابها العطب تعني أن كل الخطة أو المشروع أو الآلة أصابها العطب.

5. البانوريا (جنون الارتياب): يبدو العرب مرتابين من المعايير الغربية، والعديد منهم يعون مشاكلهم بوصفها جزء من مؤامرة لإحباط محاولتهم في جعل حياتهم أكثر سعادة. و قد يرجع جذر ذلك الى تاريخ العرب المليء بالهيمنة الأجنبية والحكومات الشمولية. وغالبا ما فسر ذلك على أن أبناء الشرق الأوسط ينظرون الى الأمريكان العاملين في الشرق الأوسط بأنهم عملاء سريون. وغالبا ما ينظر الى الحكومات كمدبرة للمكائد ضد أبناء شعبها من اجل مصلحتها.

ترجمة: امير دوشي